٤ ـ السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

كانت «حَفْصَة بنت عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرَط بن رَزَاح بن عديٍّ بن كعب بن لؤي»، وأمها تدعى «زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح»، وهي أخت «عبد الله بن عمر» لأبويه رضي الله عنهم، وأكبر منه سِنًّا. وقد تزوجت «خُنَيْس بن حذافة» السهمي.

وهاجرت «حَفْصَة» مع زوجها إلى المدينة، وقد شهد «خُنَيْس» بدراً وأصابته جراحة يومئذ لم يلبث أن توفي منها، وقيل: بل بأُحُد، والأول أشهر، وهو خطأ كما قال الحلبي في سيرته[١].

وقال «أبو عمر بن عبد البر» في «الاستيعاب»: فلما تأيَّمت ذكرها «عمر» لأبي بكر، وعرضها عليه، فلم يُرجع إليه «أبو بكر» كلمة، فغضب من ذلك «عمر»، ثم عرضها على «عثمان» حين ماتت «رقية» بنت رسول الله ﷺ، فقال «عثمان»: ما أريد أن أتزوج اليوم.

فانطلق «عمر» إلى رسول الله ﷺ، فشكا إليه «عثمان» وأخبره بعرض «حفصة» عليه، فقال رسول الله ﷺ: **«يتزوج «حفصة» من هو خير من «عثمان»، ويتزوج «عثمان» من هي خير من «حفصة»»**، ثم خطبها إلى «عمر» فتزوجها رسول الله ﷺ، فلَقِيَ «أبو بكر»، «عمر بن الخطاب»، فقال له: لا تَجِدْ عليَّ في نفسك، فإن رسول الله ﷺ كان ذكر «حَفْصَة»؛ فلم أكن لأُفْشِيَ سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوَّجتُها.

وتزوجها رسول الله ﷺ، عند أكثرهم في سنة ثلاث من الهجرة، وقال أبو عبيدة: تزوجها سنة اثنتين من التاريخ[٢].

---

(١) السيرة الحلبية (٣/ ٤٠٢).

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨١١) والإصابة (٤/ ٢٤٦٩).

أما رواية «المحب الطبري» في «السمط الثمين» فقد جاء فيها: عن عمر: تأيّمت «حَفْصَة بنت عمر» رضي الله عنهما من «خُنَيْس بن حذافة» السهمي وكان أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً، فتوفي بالمدينة.

قال عمر: فلقيت «عثمان بن عفان» رضي الله عنه فعرضت عليه «حَفْصَة» فقلت: إن شئت أنكحتك «حَفْصَة»، فقال: سأنظر في ذلك، فلبث ليالي، فلقيني، فقال: ما أريد أن أتزوج يومي هذا.

قال عمر رضي الله عنه، فلقيت «أبا بكر الصديق» فقلت: إن شئت أنكحتُك «حَفْصَة»، فلم يرجع إلي شيئاً، فكنت أوجد عليه مني على «عثمان»، فلبثت ليالي، فخطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه، فلقيني «أبو بكر»، فقال: لعلَّك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ «حَفصة» فلم أرجع إليك شيئاً!

قال: قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها عليَّ، إلَّا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها، ولم أكن لأُفْشِيَ سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها لنكحتُها(١).

وعن سعيد بن المسيِّب، قال: آم «عثمان» رضي الله عنه من «رقية» بنت رسول الله ﷺ، وآمت «حَفْصَةُ بنت عمر بن الخطاب» رضي الله عنهما من زوجها، فمَرَّ «عمر» بِـ«عثمان» رضي الله عنهما فقال: هل لك في «حفصة»، وكان «عثمان» رضي الله عنه، قد سمع النبي ﷺ يذكرها فلم يجبه، فذكر ذلك «عمر» رضي الله عنه للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: **«هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج أنا «حَفْصَة» ويتزوج «عثمان» خيراً منها: «أم كلثوم»**. أخرجه أبو عمر وقال: حديث صحيح(١).

وكان رسول الله ﷺ قد أسَرَّ إلى «حَفْصَة» رضي الله عنها بسرٍّ، واستكتمها إياه، إلَّا أنها أخبرت به صاحبتها «عائشة» رضي الله عنها وكانتا متصادقتين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ

(١) السمط الثمين (١٢٥، ١٢٦).

obeikandi.com

أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴿٥﴾﴾ [التحريم، الآيات: ١-٥].

وأخرج العلامة «الآلوسي» في تفسيره القيم «روح المعاني» لهذه الآيات: روى البخاري، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، عن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند «زينب بنت جحش» ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا و«حفصة» إن أيَّتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال: «**لا بل شربت عسلاً عند «زينب بنت جحش» ولن أعود**».

وفي رواية: «**وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً**» فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم، الآية: ١] الخ.

وفي رواية: قالت «سودة»: **أكلت مغافير؟ قال: «لا»، قالت**: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: «**سقتني «حَفْصَة» شربة عسل**»، فقالت: جَرَسَت نحلُه العُرْفُطَ، فحرَّم العسل، فنزلت.

وفي حديث رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، عن عائشة رضي الله عنها: شرب العسل في بيت «حَفْصَة»، والقائلة «سودة» و«صفية».

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، قال الحافظ السيوطي، بسند صحيح عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ شرب من شراب عند «سودة» من العسل، فدخل على «عائشة» فقالت: إني أجد منك ريحاً فدخل على «حَفْصَة»، فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: «**أراه من شراب شربته عند «سودة» والله! لا أشربه**» فنزلت.

وأخرجه النسائي، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أَمَةٌ يطؤها فلم تزل به «عائشة» و«حَفْصَة» حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم، الآية: ١].

obeikandl.com

ويوافقه ما أخرجه البزار، والطبراني بسند حسن صحيح، عن ابن عباس، قال: نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم، الآية: ١] الآية في سُرِّيَّتِهِ.

والمشهور أنها «مارية» وأنه عليه الصلاة والسلام وطئها في بيت «حفصة» في يومها، فوجدته وعاتبته فقال ﷺ: **«ألا ترضين أن أُحَرِّمَها فلا أقربها؟»**، قالت: بلى، فحرَّمها.

وفي رواية: أن ذلك كان في بيت «حَفْصَة» في يوم «عائشة».

وفي «الكشاف» روي أن رسول الله ﷺ خلا بمارية يوم «عائشة» وعلمت بذلك «حَفْصَة»، فقال لها: **«اكتمي عليَّ وقد حرَّمت «مارية» على نفسي، وأبشِّرك أن «أبا بكر» و«عمر» يملكان بعدي أمر أمتي»**، فأخبرت «عائشة» وكانتا متصادقتين.

وبالجملة الأخبار متعارضة، وقد سمعت ما قيل فيها، لكن قال «الخفاجي»: قال «النووي» في شرح «مسلم»: الصحيح أن الآية في قصة العسل، لا في قصة «مارية» المروية في غير الصحيحين، ولم تأت قصة «مارية» في طريق صحيح، ثم قال «الخفاجي»، نقلاً عنه أيضاً: الصواب أن شرب العسل كان عند «زينب» رضي الله عنها.

وقال «الطيبي» فيما نقلناه عن «الكشاف» ما وجدته في الكتب المشهورة، والله أعلم.

والمَغَافير: بفتح الميم والغين المعجمة وبياء بعد الفاء ـ على ما صوَّبه القاضي عياض ـ جمع مُغْفور بضم الميم: شيء له رائحة كريهة ينضحه العُرْفُط، وهو شجر أو نبات له ورق عريض، وعند المطلع أن العُرْفُط هو الصمغ، والمُغْفُور شوك له نَوْر يأكل منه النحل يظهر العُرْفُط عليه، وكان ﷺ يحب الطيب جيداً، ويكره الرائحة الكريهة للطافة نفسه الشريفة، ولأن المَلَكَ يأتيه، وهو يكرهها فشَقَّ عليه ﷺ ما قيل فجرى ما جرى.

وفي ندائه ﷺ يا أيها النبي ـ في مفتتح العتاب من حسن التلطف به، والتنويه بشأنه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة، الآية: ٤٣]، والمراد بالتحريم الامتناع، وبما أحل الله العسل على ما صححه «النووي» رحمه الله أو وَطْء سُرِّيَّته على ما في بعض الروايات، ووجه التعبير ـ بما ـ على هذين التفسيرين ظاهر[١].

ثم نقل «الآلوسي» عن ابن مردويه، عن ابن عباس، وابن أبي حاتم، عن مجاهد أن النبي ﷺ أَسَرَّ إلى «حَفْصَة» تحريم «مارية» وأن «أبا بكر» و«عمر» يليان الناس بعده، فأسرَّت ذلك إلى «عائشة» فعرَّف بعضه وهو أمر «مارية» وأعرض عن بعض، وهو أن «أبا بكر» و«عمر» يليان بعده مخافة أن يفشو، وقيل: بالعكس، وقد جاء إسرار أمر الخلافة في عدة أخبار، فقد أخرج ابن عدي، وأبو نعيم في فضائل «الصديق» وابن مردويه من طرق، عن «علي» كرم الله وجهه، وابن عباس قالا: إن إمارة «أبي بكر» و«عمر» لفي كتاب الله ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم، الآية: ٣] قال لحَفْصَة: **«أبوك وأبو عائشة واليا الناس بعدي، فإياك أن تخبري أحداً»**[٢].

ثم قال «الآلوسي»: وقصارى ما يمكن أن يقال: يحتمل أن يكون النبي ﷺ قد شرب عسلاً عند «زينب» كما هو عادته، وجاء إلى «حَفْصَة» فقالت له ما قالت فحرم العسل، واتفق له عليه الصلاة والسلام ـ قبيل ذلك أو بعيده ـ أن وطىء جاريته «مارية» في بيتها، في يومها، على فراشها، فوجدت فحرم ﷺ «مارية» وقال لحَفْصَةَ ما قال تطييباً لخاطرها، واستكتمها ذلك فكان ما كان، ونزلت الآية بعد القصتين فاقتصر بعض الرواة على إحداهما والبعض الآخر على نقل الأخرى، وقال كل: فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [التحريم، الآية: ١] إلخ، وهو كلام صادق، إذ ليس فيه دعوى كل حصر علة النزول فيما نقله، فإن صح هذا هان أمر الاختلاف، وإلا فاطلب لك غيره، والله تعالى أعلم[٣].

وبناء على ما صنعته «حَفْصَة» وأخواتها من أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ قرر رسول الله ﷺ اعتزال أزواجه جميعاً. ومكث ﷺ بعيداً عنهن تمعة

---

(١) روح المعاني (٢٨/١٤٦، ١٤٧).
(٢) و(٣) روح المعاني (٢٨/١٥١).

وعشرين يوماً، لا يجرؤ أحد من أصحابه على محادثته بشأنهن، وسرى همس بين المسلمين مفاده أن النبي ﷺ طلق أزواجه، فاكتأب المسلمون لذلك وغشيهم الأسى الشديد مواساة لرسول الله ﷺ في حزنه.

بَيْدَ أن «عمر» رضي الله عنه لا يستطيع أن يلتزم الصمت في مثل هذه الظروف، ولا بد له أن يستجلي حقيقة ما جرى من فم الصادق المصدوق دون سواه، فتوجَّه ليسأله عن مدى صحة ما يقال عن طلاقه لنسائه أو أن الأمر على خلاف ذلك.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، قال: دخل «أبو بكر» يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناسَ جلوساً ببابه، لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأُذِنَ لأبي بكر، فدخل، ثم أقبل «عمر» فاستأذن فأُذِنَ له، فوجد النبيَّ ﷺ جالساً حولَه نساؤُه، واجماً ـ اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام ـ.

قال: فقال: لأقولن شيئاً أُضحِكُ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! لو رأيتَ «بنت خارجةَ»! سألتني النفقة فقمت إليها فوجأتُ عنقها، فضحك رسول الله ﷺ، وقال: «**هن حولي كما ترى**» يسألنني النفقة.

فقام «أبو بكر» إلى «عائشة» يَجأُ عنقَها، فقام «عمر» إلى «حَفْصَة» يَجأُ عنقها، كلاهما يقول: تَسْأَلْنَ رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فقلن: والله! لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب، الآيتان: ٢٨،٢٩]، قال: فبدأ بعائشة، فقال: «**يا عائشة! إني أريد أن أعرض عليكِ أمراً أحب ألَّا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك**» قالت: وما هو؟ يا رسول الله! فتلا عليها الآيةَ، قالت: أفيك يا رسول الله! أستشير أبويَّ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألَّا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: «**لا تسألني امرأة منهن إلَّا أخبرتُها، إن الله لم يبعثني معنِّتاً ولا متعنِّتاً** ـ المعنِّت: المشدد على الناس، والمتعنِّت: الذي يطلب زلتهم ـ، **ولكن بعثني معلِّماً ميسِّراً**»(١).

---

(١) صحيح مسلم (١٤٧٨/٢٩).

وروى مسلم أيضاً عن زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، عن سماكٍ؛ أبي زُمَيْل، حدثني عبد الله بن عباس، حدثني «عمر بن الخطاب»، قال: لما اعتزل نبيُّ الله ﷺ نساءَه، قال: دخلتُ المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى ـ يضربون به الأرض ـ، ويقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءَه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب.

فقال «عمر»: فقلت: لأعْلَمَنَّ ذلك اليوم، قال: فدخلتُ على «عائشة»، فقلتُ: يا بنت أبي بكر! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ؟ فقالت: مالي ومالَكَ؟ يابن الخطاب! عليك بعيبتك ـ تعني ابنته «حَفْصَة» ﵂.

قال: فدخلتُ على «حَفْصَة» بنتِ عمرَ فقلت لها: يا حَفْصَةُ! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ، والله! لقد علمتِ أن رسول الله ﷺ لا يحبكِ، ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ، فبكت أشد البكاء، فقلت لها: أين رسول الله ﷺ؟ قالت: هو في خِزانته ـ مخزنه ـ في المَشْرُبة ـ الغرْفة ـ، فدخلتُ، فإذا أنا برباحٍ غلامِ رسول الله ﷺ قاعداً على أُسْكُفَّة المَشْرُبة عتبة الباب السفلى ـ مُدَلٍّ رجليه على نقِيرٍ ـ خشب نقر وسطه ليكون كالدرجة ـ من خشب، وهو جذعٌ يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر، فناديتُ: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر «رباح» إلى الغرفة، ثم نظر إليَّ، فلم يقل شيئاً.

ثم قلتُ: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر «رباح» إلى الغرفة، ثم نظر إليَّ، فلم يقل شيئاً، ثم رفعت صوتي، فقلت: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل «حَفْصَة»، والله! لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفعتُ صوتي، فأومأ إليَّ أنِ ارقَهْ.

فدخلتُ على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير، فجلستُ، فأدنى عليه إزاره، وليس عليه غيرُه، وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه، فنظرتُ ببصري في خزانة رسول الله ﷺ، فإذا أنا بقبضةٍ من شعيرٍ نحوِ الصاعِ، ومثلِها قَرَظاً ـ ورق السَّلَمِ يُدْبَغُ به ـ في ناحية الغرفة، وإذا أَفِيقٌ ـ جلد لم يدبغ ـ معلَّق.

قال: فابتدرت عيناي ـ سالت دموعي ـ، قال: «**ما يبكيك؟ يابن الخطاب!**»

obeikandi.com

قلت: يا نبي الله! ومالِي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك «قيصر» و«كسرى» في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خزانتك.

فقال: «**يابن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟**» قلت: بلى.

قال: ودخلتُ عليه حين دخلتُ، وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلتُ: يا رسول الله! ما يَشُقُّ عليك من شأن النساء؟ فإن كنتَ طلقتَهن فإن الله معك وملائكتَه و«جبريلَ» و«ميكائيلَ»، وأنا و«أبو بكر» والمؤمنون معك، وقلَّما تكلمتُ، وأحمدُ اللهَ، بكلام إلا رجوتُ أن يكون اللهُ يصدق قولي الذي أقول.

ونزلت هذه الآية، آية التخيير(١): ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم، الآية: ٥]، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم، الآية: ٤].

وكانت «عائشة بنت أبي بكر» و«حَفْصَة» تَظَاهران على سائر نساء النبي ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله! أطلقتهن؟ قال: «**لا**»، قلتُ: يا رسولَ الله! إني دخلتُ المسجد، والمسلمون ينكتون بالحصى، يقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءَه، أفأنزل فأُخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: «**نعم، إن شئت**»، فلم أزل أحدثه حتى تحسَّر الغضب عن وجهه، وحتى كَشَرَ ـ أبدى أسنانه تبسماً ـ فضحك، وكان من أحسن الناس ثغراً، ثم نزل نبي الله ﷺ ونزلتُ، فنزلتُ أتشبَّثُ بالجذع، ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسُّه بيده، فقلت: يا رسول الله! إنما كنتَ في الغرفة تسعة وعشرين، قال: «**إن الشهر يكون تسعاً وعشرين**» فقمت على باب المسجد، فناديتُ بأعلى صوتي: لم يطلِّق رسول الله ﷺ نساءَه. ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء، الآية: ٨٣]، فكنت أنا

(١) آية التخيير ليست هذه: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الواردة في سورة التحريم، ولكنها الآية ٢٨ من سورة الأحزاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ كما هو مبين في الحديث (٢٢/ ١٤٧٥)، لذا اقتضى التنويه، وسأذكر الحديث بعد صفحة واحدة.

obeikandl.com

استنبطتُ ذلك الأمرَ، وأنزل الله ﷻ آية التخيير[١].

وأخرج مسلم آية التخيير في الحديث التالي الذي رواه عن ابن شهاب، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف؛ أن «عائشة» رضي الله عنها قالت: لما أُمِرَ رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: «**إني ذاكر لكِ أمراً، فلا عليك ألَّا تعجلي حتى تستأمري أبويك**».

قالت: قد عَلِمَ أن أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله ﷻ قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب، الآيتان: ٢٨،٢٩].

قالت: فقلت: في أي هذا أستأمر أبويَّ؟ فإني أختار الله ورسوله والدار الآخرة.

قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثلَ ما فَعَلْتُ[٢].

وكانت «حَفْصَة» رضي الله عنها قلبها عامر بالإيمان، مشغوف بالجهاد، وقد شهد غزوة بدر من أهلها: أبوها «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه، وعمها «زيد بن الخطاب» رضي الله عنه وزوجها «خُنَيْس بن حذافة» رضي الله عنه، وأخوالها «عثمان» و«عبد الله» و«قدامة» بنو مظعون، و«السائب بن عثمان بن مظعون» ابن خالها رضي الله عنه، ذكره «المحب الطبري» في «السمط الثمين» وعزاه للدارقطني[٣].

وقد تعلمت «حَفْصَة» رضي الله عنها القراءة والكتابة، وكانت «الشفاء بنت عبد الله» العدوية تزورها، وحين رآها رسول الله ﷺ عندها قال لها: «علميها رقية النملة كما علمتيها الكتابة»، وكانت السيدة «عائشة» والسيدة «أم سلمة» تقرآن القرآن، لكنهما لا تعرفان الكتابة، وقد أكبَّت «حَفْصَة» على تعلم القرآن والسنة حتى أصبحت مرجعاً فقهياً هاماً، وكان والدها «عمر» رضي الله عنه يرجع إليها في المسائل التي تتعلق بفقه المسلمات، ولم يكن علم «عمر» بقليل، ويدل ذلك على سعة

(١) صحيح مسلم (٣٠/ ١٤٧٩).
(٢) صحيح مسلم (٢٢/ ١٤٧٥).
(٣) السمط الثمين (١٢٩).

obeikandl.com

اطلاعها، وحسن فهمها لأحكام الدين القويم، وقد تركت لنا العديد من الخطب والأقوال الدالة على فصاحتها وبلاغتها.

ولما جَيَّش «أبو بكر الصديق» الجيوش لقتال المرتدين، قتل كثير من القراء وحفظة القرآن في تلك المعارك، فجاءه «عمر بن الخطاب» ﵁، وعرض عليه جمع القرآن من الرُّقُم والجلود والسَّعف والعظام التي كتبت آياته عليها، فراقت الفكرة لأبي بكر، واستدعى كاتب الوحي «زيد بن ثابت» ﵁، وأسند إليه تلك المهمة الجليلة.

ولم يأل «زيد» جهداً في جمع كل الأشياء التي كان القرآن يكتب عليها، ثم نسخها في صحيفة واحدة، وأودعها «أبا بكر» ﵁، وحين حضرته الوفاة عهد بها إلى «عمر» ﵁، فأعطاها ابنته «حفصة» لتكون الحارسة الأمينة عليها ﵄.

وفي عهد «عثمان بن عفان» ﵁ خرج «حذيفة بن اليمان»، إلى أرمينية وأذربيجان مجاهداً، فرأى اختلافاً بيناً في القراءات بين الأقطار التي دخلها، ولما عاد عرض الأمر على الخليفة، فاستدعى «عثمان» ﵁ أربعة من أهل الفصاحة والعلم والثقة، وهم: «زيد بن ثابت» و«عبد الله بن الزبير» و«سعيد بن العاص» و«عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام» ثم أرسل إلى أم المؤمنين «حَفْصَة بنت عمر» لتعيره الصحيفة التي لديها، على أن يعيدها بعد أن تنجز اللجنة عملها إليها، ثم أوصى اللجنة بكتابة القرآن في نسخ موحدة، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء فليكتبوه، بلسان قريش لأن القرآن نزل بلسانها، فلما أتمت اللجنة عملها، احتفظ «عثمان» ﵁ بنسخة، ثم أمر ببقية النسخ لتُوزَّع على الأمصار، وأمر برد صحيفة «حَفْصَة» إليها، فجزى الله كل من أسهم في ذلك العمل الجليل عن المسلمين كل خير.

وكانت «حَفْصَة» ﵂ ممن يروي الحديث ويروى عنها، لأنها واحدة من أمهات المؤمنين اللواتي كن يتلقين الحديث الشريف غضاً طرياً من الحبيب الأعظم ﷺ بحكم قربه منهن، ووجوده بينهن.

وقد ذكر الإمام النووي في تهذيبه أن «حَفْصَة» ﵂ روت ستين حديثاً، عن النبي ﷺ، روى لها البخاري منها ثلاثة أحاديث، وقيل: أربعة، كما روى لها

obeikandl.com

مسلم ستة منها[١]، وكان أخوها «عبد الله بن عمر» ﷺ كثير التردد عليها ليسألها عن هدي رسول الله ﷺ أو ليروي عنها. وكان «حمزة» ابن أخيها «عبد الله» و«حارثة بن وهب» و«المسيب بن رافع» و«عبد الله بن صفوان بن أمية» و«أم مبشر» و«صفية بنت أبي عبيد» امرأة «عبد الله بن عمر» ممن رووا عنها.

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه حديث الرؤيا التي رآها «عبد الله بن عمر» وقصها على أخته «حَفْصَة»، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: رأيت في المنام كأن في يدي قطعة إستبرق ـ ما غلظ من الديباج ـ، وليس مكان أريد من الجنة إلا طارت إليه، قال: فقصصته على «حَفْصَة»، فقصَّته «حَفْصَة» على النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: **«أرى عبد الله رجلاً صالحاً»**[٢].

وروى مسلم عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، قال: كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا، قصها على رسول الله ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصُّها على النبي ﷺ، قال: وكنت غلاماً شاباً عزباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم، كأن مَلَكَيْن أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مَطْوِيَّة كطيِّ البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناسٌ قد عرفتُهم، فجعلتُ أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، قال: فلقيهما مَلَكٌ فقال لي: لَمْ تُرَعْ ـ أي: لا روع عليك ولا ضرر ـ فقصصتُها على «حَفْصَة»، فقصَّتها «حَفْصَة» على رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: **«نعم الرجُل «عبد الله!» لو كان يصلي من الليل»**.

قال «سالم»: فكان «عبد الله» بعد ذلك، لا ينام من الليل إلا قليلاً[٣].

وكانت «حَفْصَة» رضي الله عنها برسول الله ﷺ، وبأبيها «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه، في الإعراض عن زخرف الحياة الدنيا ومتاعها، وقبست عنهما ضرورة العمل للدار الباقية، لا للدار الفانية، ومشت على خطى أبيها الذي سلك سبيل صاحبيه في الدنيا لأنوه لو حاد عن سبيلهما لما كان له في لقائهما في الآخرة نصيب، وحرصت على ذلك حتى فارقت الحياة.

---

(١) التهذيب للنووي (١/ ٣٣٩).
(٢) صحيح مسلم (١٣٩/ ٢٤٧٨).
(٣) صحيح مسلم (١٤٠/ ٢٤٧٩).

وكانت «حَفْصَة» ﵂ من العابدات القانتات، نهارها صيام، وليلها قيام، وهذا دأبها في تقطيع الأيام، وقد أسدى لها والدها «عمر» ﵁ نصيحة غالية، موجزها ألَّا تحاول مزاحمة عائشة بنت أبي بكر ﵄ على قلب رسول الله ﷺ، وألَّا تُساميَها عنده، وكان يقول لها: أين أنت من «عائشة»؟ وأين أبوك من أبيها؟ فجعلت «حَفْصَة» تلك الوصاة العمرية نُصْبَ عينيها، ثم هداها فكرها إلى اتخاذ «عائشة» ﵂ صديقة لها خير من منافستها، وهكذا صفا بينهما الود، واستحكم الصفاء.

وذات يوم، كان «عمر» في حديث مع امرأته، فإذا هي تعارضه، وترفع صوتها عليه، خلافاً لعهده بها، ولما هَمَّ بتأديبها بادرته بقولها: إنك لا تسمح لأحد بمراجعتك، وهناك من هي أفضل مني، وتراجع من هو أفضل منك، عبارة لم يعتد «عمر» سماعها من قبل، فأمسك عما هَمَّ به، لأنه يريد أن يعرف من المقصود بمقالتها تلك، فقال لها: من المقصود بقولك؟ وإلى مَنْ تُشِيرِين؟ فقالت: إن ابنتك «حَفْصَة» لتراجع رسول الله ﷺ حتى إنه ليبقى مغضباً سائر يومه.

وصعق «عمر» ﵁ لِمَا سمع، ولم يكن يدور في خلده أن تصنع ابنته مثل ذلك مع رسول الله ﷺ، ولم يلبث أن وضع عليه ثيابه، ثم انطلق إلى بيت «حفصة» ليتثبَّت من قول امرأته ويستوثق.

حتى إذا وكَّدت له «حَفْصَة» حدوث هذا في بعض الأحايين أخذته الدهشة، وعجب من ابنته ومن صواحبها الأخريات، كيف يفعلن ما يفعلن، ولا يخشين من غضب الله عليهن انتصاراً لرسول الله ﷺ؟

ثم قال لحفصة ﵂: يا بنية! لا يَغُرَّنَّكِ هذه ـ يقصد عائشة ـ التي قد أعجبها حسنها، وحب رسول الله ﷺ لها، ثم أردف يقول: لا تراجعي رسول الله ﷺ أو تسأليه، وسليني أنا كل ما بدا لك.

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس، قال: لم أزل حريصاً أن أسأل «عمر» عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ

قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم، الآية: ٤] ، حتى حَجَّ «عمر» وحججتُ معه، فلما كُنَّا ببعض الطريق، عدل «عمر» وعدلتُ معه، بالإداوة، فتبرَّز، ثم أتاني فسكبتُ على يديه، فتوضَّأ، فقلت: يا أمير المؤمنين! من المرأتان مِنْ أزواج النبي ﷺ، اللتان قال الله ﷻ لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم، الآية: ٤] .

قال «عمر»: واعجباً لك يابن عباس! (قال الزهري: كره واللهِ! ما سأله عنه ولم يكتمه).

قال: هي «حَفْصَة» و«عائشة»، ثم أخذ يسوق الحديث.

قال: كنا معشر قريش، قوماً نغلب النساء، لما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم.

قال: وكان منزلي في بني أمية بن زيد، بالعَوَالي ـ موضع قرب المدينة ـ، فتغضَّبْتُ يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله! إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فانطلقتُ فدخلتُ على «حَفْصَة»، فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ فقالت: نعم، فقلت: أتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم، قلتُ: قد خاب مَنْ فَعَلَ ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ، فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً، وسليني ما بدا لك، ولا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كانت جارتك ضرتك ـ هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منكِ (يريد عائشة).

قال: وكان لي جار من الأنصار، فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ، فينزل يوماً وأنزل يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك.

وكنا نتحدَّث أن «غسانَ» تَنْعِلُ الخيلَ ـ يجعلون لها نعالاً ـ لَتَغْزُونا، فنزل صاحبي، ثم أتاني عشاء فضرب بابي، ثم ناداني، فخرجت إليه، فقال: حدث أمرٌ عظيمٌ، قلت: ماذا؟ أجاءت «غسانُ؟» قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول، طلَّق النبي ﷺ نساءَه، فقلت: قد خابت «حَفْصَة» وخسرت، قد كنت أظن هذا كائناً، حتى إذا صليتُ الصبحَ، شددتُ عليَّ ثيابي، ثم نزلتُ، فدخلتُ على «حَفْصَة» وهي تبكي، فقلت: أطلَّقكن رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري، ها هو ذا

معتزلٌ في هذه المَشْرُبة، فأتيت غلاماً له أسود، فقلت: استأذِنْ لعمرَ، فدخل، ثم خرج إليَّ، فقال: قد ذكرتُك له فصَمَتَ.

فانطلقتُ حتى انتهيتُ إلى المنبر، فجلستُ، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلستُ قليلاً، ثم غلبني ما أجد، ثم أتيتُ الغلام، فقلت: استأذِنْ لعمر، فدخل، ثم خرج إليَّ، فقال: قد ذكرتُك له فصَمَتَ، فولَّيتُ مدبراً، فإذا الغلام يدعوني، فقال: أدخل، فقد أذِن لك، فدخلتُ، فسلمتُ على رسول الله ﷺ، فإذا هو متكىءٌ على رَمْلِ حصير ـ أي: حصير منسوج ـ قد أثر في جنبه، فقلت: أطلَّقت يا رسول الله! نساءَك؟ فرفع رأسه إليَّ، وقال: «لا» فقلت: الله أكبر! لو رأيتَنا، يا رسول الله! وكنا معشر قريش، قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فتغضَّبْتُ على امرأتي يوماً، فإذا هي تراجعني، فأنكرتُ أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله! إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فقلت: قد خاب مَنْ فَعَلَ ذلك منهن وخسر، أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ، فإذا هي قد هلكت؟ فتبسَّم رسول الله ﷺ.

فقلت: يا رسول الله! قد دخلت على «حَفْصَة» فقلتُ: لا يَغُرَّنَّك أَنْ كانت جارتك هي أوسمُ منكِ وأحبُّ إلى رسول الله ﷺ منكِ، فتبسَّم أُخرى، فقلتُ: أَستأنِسُ؟ يا رسول الله! قال: «نعم»، فجلستُ، فرفعتُ رأسي في البيت، فوالله! ما رأيت فيه شيئاً يردُّ البصر، إلَّا أُهَباً ثلاثة، فقلت: ادعُ اللهَ يا رسولَ الله! أن يوسِّع على أمتك، فقد وسَّع على فارسَ والروم، وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالساً، ثم قال: **«أفي شك أنت؟ يابن الخطاب! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»** فقلت: استغفر لي، يا رسول الله! وكان أَقْسَمَ أَلَّا يدخُلَ عليهن شهراً، من شدة مَوْجِدَتِهِ ـ أي: غضبه ـ عليهن، حتى عاتبه الله ﷻ (١).

وأخرج «أبو نعيم» في «حلية الأولياء» عن عقبة بن عامر، قيل: لما طلَّق رسول الله ﷺ «حفصة بنت عمر»، فبلغ ذلك «عمر»، فوضع التراب على

---

(١) صحيح مسلم (٣٤/١٤٧٩).

رأسه، وجعل يقول: ما يعبأ الله بعمر بعد هذا، قال: فنزل «جبريل» عليه السلام من الغد على رسول الله ﷺ، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تراجع «حَفْصَة» رحمة لعمر[١].

وروى «أبو نعيم» في حليته أيضاً، عن عاصم، عن زر، عن عمار بن ياسر، قال: أراد رسول الله ﷺ أن يطلق «حَفْصَة» فجاء «جبريل» فقال: لا تطلقها، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة[٢].

وروى «أبو نعيم» في حليته أيضاً، عن قيس بن زيد: أن النبي ﷺ طلق «حَفْصَةَ بنت عمر» فدخل عليها خالاها «قدامة» و«عثمان» ابنا مظعون، فبكت، فقالت: والله! ما طلَّقني عن شبع.

وجاء النبي ﷺ، فتجلببت، فقال: «**قال لي «جبريل»: أرجع «حَفْصَة» فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة**»[٣].

وأخرج المحب الطبري في سِمطِه، عن الزهري، قال: أصبحت «عائشة» و«حفصة» رضي الله عنهما ـ صائمتين، وأهدي لهما طعام فأكلتا منه، فدخل عليهما النبي ﷺ.

قالت «عائشة»: فبدرتني ـ سبقتني ـ «حَفْصَة» ـ وكانت ابنة أبيها ـ، قالت: يا رسول الله! أهدي لنا طعام فأكلنا، فتبسَّم رسول الله ﷺ، وقال: صوما يوماً مكانه[٤].

ولما حضرت «حَفْصَة» الوفاةُ، أوصت إلى «عبد الله» أخيها بما أوصى إليها «عمر»، وتصدقت بمال لها وقفته بالغابة.

وأخرج «ابن سعد» في «الطبقات الكبرى»: توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة، وصلَّى عليها «مروان بن الحكم» أمير المدينة، وحمل سريرها بعض الطريق، ثم حمله «أبو هريرة» إلى قبرها، ونزل في قبرها: «عبد الله» و«عاصم» ابنا عمر، و«سالم» و«عبد الرحمٰن» و«حمزة» بنو «عبد الله بن عمر»،

---

(١) الحلية (٢/ ٥٤)، والسمط الثمين (١٢٨).
(٢) الحلية (٢/ ٥٤).
(٣) الحلية (٢/ ٥٤)، والسمط الثمين (١٢٧).
(٤) السمط الثمين (١٢٩).

وقد بلغت ستين سنة[١]، وتوفيت في حين بايع «الحسن بن علي» رضي الله عنهما لمعاوية في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، كما قال «أبو عمر بن عبد البر»[٢]. رحمها الله تعالى.

obeikandl.com

(١) الطبقات (٨/ ٨٦).
(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨١٢).